في ضوء انتخابات الناصرة
المسؤولية السياسية لمنظمة التحرير تجاه العرب في اسرائيل

بالرغم من الطابع المحلي لانتخابات رئاسة وعضوية المجلس البلدي التي جرت في الناصرة يوم التاسع من كانون الاول (ديسمبر) الماضي ، فان النتائج التي أسفرت عنها تلك الانتخابات تتعدى في أهميتها وأبعادها نطاق الناصرة المدينة ، لتصبح حدثا مهما ليس فقط لنصف مليون فلسطيني يعيشون في اسرائيل منذ ثمانية وعشرين عاما تقريبا ، بل لتتعدى ذلك الى النطاق الفلسطيني بأسره ، داخل الوطن المحتل وخارجه .

واذا كانت السلطات الاسرائيلية المعنية قد أدركت مبكرا مخاطر نتائج التحالفات الانتخابية في الناصرة* ، وحذرت جماهير المدينة من عواقبها على لسان أكثر من وزير ومسؤول في الحكومة الاسرائيلية ، فان جماهير الناصرة والقيادات الوطنية الفلسطينية داخل المدينة وخارجها ، كانت تدرك هي الاخرى أهمية استرداد عاصمة العرب في اسرائيل لوجهها الحقيقي ، وجهها الفلسطيني المناضل .

هكذا اذن ، كانت الناصرة تخوض معركتها الانتخابية صراعا بين الارادة الفلسطينية وقاهريها ، بين ذاتها الوطنية ومزوريها ، ومع انتمائها للوطن ضد محتلي الوطن . وكان للناصرة ما أرادت ضد ما أريد لها ، وجعلت من يوم التاسع من كانون الاول عام ١٩٧٥ ، فيصلا بين زمنين .

مطلبية المظهر وسياسية المحتوى

ان حرص الوطنيين الفلسطينيين في الناصرة على ان تدار معركة الانتخابات ضمن الدائرة المطلبية وتحت شعارات القضاء على الفساد والرشوة وتحسين الخدمات البلدية ، لم يغيب عن المعركة هذه وجهها السياسي واستقطاباتها السياسية .

فلقد كان هذا هو الفهم الذي عبر عنه المسؤولون الاسرائيليون في تحذيراتهم لسكان الناصرة من مغبة تأييدهم لمرشحي القائمة الوطنية — قائمة جبهة الناصرة الديمقراطية — واختيارهم لتوفيق زياد رئيسا للبلدية . فقد قال موشيه برعام وزير العمل والشؤون الاجتماعية الاسرائيلية في احدى زياراته التحريضية لسكان الناصرة ضد القائمة الوطنية : « انه لأمر طبيعي ان أي شعب وأية دولة لا يحتملان أن تكون داخل الدولة مدينة برئاسة حركة ليس لها أي ارتباط بدولة اسرائيل ، وهي خاضعة للشيوعيين ، ومتأثرة بالاستعمار السوفياتي ، ومن ناحية اخرى متأثرة بالوطنية السوداء في العالم العربي . ولا أعتقد بأن دولة اسرائيل ملزمة بالاهتمام بمدينة يرأسها شخص قد يكون عميلا لعرفات ولجميع منظمات المخربين في اسرائيل » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل الصادرة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ٧٥/١٢/٦).

واذا كان هذا هو الفهم الاسرائيلي لمعركة الانتخابات تلك ، فان مدينة الناصرة العربية ، لم تكن أقل ادراكا لفحوى معركتها البلدية . فالذين صوتوا لجبهة الناصرة الديمقراطية ، كانوا مدركين حق الادراك انهم يصوتون لعروبة المدينة ، ويحتجون ضد سياسات الحكم الاسرائيلي ليس في الناصرة وحدها بل في الجليل والمثلث والنقب .

الا أن ما يعنينا من وراء ذلك الفوز الكبير الذي حققته العناصر الوطنية في الناصرة ، هو ذلك التحول الكبير والمهم في الولاء السياسي للغالبية العظمى من سكان الناصرة . فمن خلال عملية المسخ والتزوير للارادة القومية العربية بشكل خاص والعربية في اسرائيل بشكل عام ، تعاقبت على المجلس البلدي في الناصرة أغلبية مرتبطة بالاحزاب الصهيونية . حتى أن بعض عناصر تلك المجالس البلدية كانت ترتبط بأكثر الاحزاب الصهيونية تطرفا وتنكرا للحقوق الوطنية الفلسطينية . وقد تم كل ذلك من خلال عزل المعارك الانتخابية عن الواقع السياسي الاضطهادي للعرب في اسرائيل ، وبتغييب الهموم الوطنية الحقيقية للأقليات العربية .

---

* حصل التحالف الانتخابي المكون من الشيوعيين (راكاح) ورابطة الاكاديميين (المهنيين) والتجار ورجال الدين على أحد عشر مقعدا من سبعة عشر . وفاز توفيق زياد الذي كان على رأس هذا التحالف بمنصب رئيس البلدية .